الاستاذ

الجزء الثالث والثلاثون من السنة الاولى

يوم الثلاثاء ١٧ رمضان سنة ١٣١٠ ٢٧ برمهات سنة ١٦٠٩
الموافق ٤ ابريل سنة ١٨٩٣

بمن أَقتدي اذا اختلفت الآراء

اقتد بمن اذا اسبغت عليكم النعم كان مهنئاً معك واذا نزلت بك مصيبة كان معك معزّى فان اخلاص النصح من غيره لا يتأَتى الا اذا عاد لبطن امه وولد مرة ثانية في ارض مس ترابها جسمك وليدًا وخدمت في اصلاحها شاباً ودبرت شانها شيخاً . وكيف يقتدى العاقل بنازح عن داره وقد لطفت هواءً وعذبت ماءً وطابت مقرًّا وكثرت خصباً فلم يرض مارضى به آباؤه واستهجن ما استحسنه اجداده وقطع رحماً تجب صلتها عليه وهجر عشيرة بين رجالها ولد ومن اظأَرها رضع وعلى عاداتها شب وبلغتها تكلم وخرج يضرب وجه الارض بنعليه ارتحالاً لا يحمل غير كف الحاجة ووجه السؤَال يتفيأَ ظلال غني يستميحه او وجيه يستجديه او عظيم يخدمه او امير يتصيد بالانتماء اليه او ابدَ الثراء لا يبالي في اية بلاد رمى سهمه ولا باية يد تناول قوته فاذا اختلفت آراء من استضا فهم في نازلة تقدح فيها زناد الافكار كان مع اليد التي تناولته من ايدي الحاجة وانقذته من

مخلب الفاقة يتقرب لربها باخيه بيعاً واذلالا ويسترضيه بصاحبه استفداماً وربما قرب اليه ذوي الارحام خدما وعبدانا طمعاً في دوام صلة واستعظام عطية · ففرّ من هذا فرارك من المجذوم لئلا تتقرح بالعدْوَى فينفر منك الاخ ويجفوك الصاحب وينكرك العشير· وقد يكون هذا النازح ممن تجمعك واياه اصول بعيدة اوقريبة او روابط من روابط الامم فيعطف عليك ويخلص في القول والعمل طمعاً في صلاح شؤنه بصلاح شؤنك ولا يمكنك سبرغور افكاره الا بعد قلبك اوجه التجربة وصور الاختبار حتى اذا وجدته ثابت القدم في صحبتك صادق اللهجة في مخاطباته وجهته وجهتك في كل حالة كنت عليها يتألم بألمك ويسر بسرورك اتخذته عضداً ونصيراً وناصحاً ومشيراً واعتمدت عليه في دفع صدور الحوادث بقوة الحزم واتحاد الكلمة وتفارصت معه الاوقات لبلوغ المراد حيث لا مانع ولا دافع · فان اعثرتك الايام بنزيل هذه صفته فذاك والاَّ فعليك بمن اذا حلت المصائب وآب النازحون الى مقارّهم فراراً من مشاركتك في همومك كان قسيمك في النكبات يتناوب معك حمل الخطوب ويحمالك اذا ضعفت ويبرك اذا احتجت ويعودك اذا مرضت وينصرك اذا خذلت ويدفع معك عدواً يحاربك ويحفظ معك وطناً لزمته ويصون لك عرضاً تبذل الروح في حمايته · اليس المهاجر من وطنه خلف القوت او الثروة كالدرويش الذي يقف امامك يبكي تارة ويتأوه اخرى ويحلف انه ما ذاق في يومه طعاماً ولا مست يده نقوداً ولا يمتلك غير ردائه وعصاه ثم يصعر خده ويلتوى التواء الافعى اظهاراً لالم الجوع ويده ممدودة وعينه

محملقة ولسانه طلق بالدعاء والشكوى حتى اذا نقدته درهماً او ديناراً هش وبش ومال على يدك لثما وحلف انه صار لك عبداً وزوّدك دعوات بلفظ فخم يرتفع لهُ الصدر وينخفض كانه من قلب مخلص وما ذلّ الا توسلاً ولا دعا الا فتحاً لباب العود كلما مست الحاجة · ومن كانت هذه صفته يصرفه عنك الغير بلقمة يزيدها له وثوب يعطيه اياه فاذا زاده ديناراً على ان يقذفك ويهجوك اضحك الناس بما يفتريه عليك وابتدع لك عيوباً ليست فيك ونسب اليك اقوالاً وافعالاً تدنس المجد وتثلم الشرف · فالعاقل من اذا نزلت به النوازل اعتصم باخوان الوطنية وكان من آراء الغير على حذر ونحن معاشر الشرقيين في حاجة الى نقد الافكار وتفتيش الآراء حتى فيما يصدر منا في الشؤون الاهلية لنبذ الضار والاخذ بالنافع فقد يصدر الراي من انسان عن الاخلاص ويكون قد تلوت عليه المطالب فيخرج الراي فطيراً يضرنا الاخذ به وان كان صاحبه لم يقصد الضرر ولا ينبغي الاعتماد على ذوي المظاهر العلمية والادارية قبل ان نعرض افكارهم على المبادىء والخواتيم فان الحائز لثقة الناس به كثيراً ما تدعوه العجلة للسقوط في وهدة الارتباك فيقول من غير تروٍ ويعمل بغير تدبير لعلمه بانه لا يعارض قوله ولا يقبح عمله · وقد درست الامم الغربية هذه المقدمات وعلمت ما وراء الاقتداء بالنزلاء واهل الشهرة من الانحطاط فاعتمدت على مجالس شوراها لتستخلص من تضارب الافكار واختلاف الاحزاب قواعد لا تنقضها الحوادث وقوانين تلائم التابع والمتبوع وتبقى بها دعائم الدولة قائمة على اساس متين ولم تتوصل لهذا المقصد الحسن الا باعتمادها على من

يخوض لجج المنايا في حفظ وطنه من طامع في امتلاكه او عادٍ على اهله ·
وبهذا التمحيض نجحت اعمالهم وقويت شوكتهم ونفذت سلطتهم وتخطت
سطوتهم اوطانهم الى غيرها فتحاً واستعماراً بقوتي العلم والعمل وعزيمتي الامة
والحكومة وتوحيد وجهة الفريقين

وقد توالت الاعوام والجرائد تنقل لنا معاشر الشرقيين اخبار اولئك
الفائزين وتشرح لنا من اعمالهم التي حيرت الافكار وادهشت العقول
ما ساعدهم عليه تمحيض الراي وتوحيد الكلمة وتمحيض المتشاورين
ونحن قعود على قارعة الكسل والتهاون نكتفي بالتفرج على الامم العاملة
ونفرح بما نراه من فوزها ونغضب اذا ناخر فريق منها وقد انصرفنا عن مصالح
اوطاننا وعمينا عن طرق تقدمنا وحيل بيننا وبين مجاراة هؤلاء العقلاء
بسور الانفة من استشارة الفقراء ومفاوضة الضعفاء وان كانوا قد امتلأوا
علماً وكسوا نباهة فاذا عولنا على التشاور يوماً جمعنا ارباب الاموال واهل
الوجاهة من غير تخير العقلاء منهم ولا تمييز الاغبياء من الاذكياء وحشرنا
هذا الشتيت في قاعة حبس لا يراهم فاضل ولا يسمعهم خبير فيحيصون
حيصة تنجلي عن نكبات تجلب في صور مضار تدفع او منافع تصنع وليس
وراء هذا التقصير غير التدمير · ولئن قيل ان التجارب دلتنا على ان
الشورى لا تنجح في الشرق او ان الشرقيين غير عقلاء كما يزعم محبو الأثرة
والانفراد بالتسلط قلنا ان اتحاد الشرقي مع الغربي في الخلق يرد هذه الدعوى
الباطلة وانما ثابر الغربيون على العمل بالشورى واخذوا يصححون الاغاليط
ويراجعون الخطا وتبادلون الجدل عن عزائم صادقة حتى تربت الملكات

وتصورت المطالب امامهم بصُوَر الواقعيات وما اوصلهم لهذه الغاية الا اعتمادهم على الفضلاء والاذكياء منهم حتى اضطرا لاغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التي بها ترشحوا للدخول في اندية الشورى وما زالوا يزاولون العلوم ويبحثون في الامم والدول حتى قبضوا على ازمة الملك بعصبية قوية ووقفوا امام ملوكهم حصوناً تقيهم الفتن الداخلية والغوائل الخارجية . فماذا على الشرقيين لو جاروهم في هذه الطريق وهي سهلة لا حزن فيها ولا وعورة ولا يلزم للدخول فيها اكثر من انتخاب العقلاء والفضلاء وانسلاخ اهل الذاتيات من التوجه الى الوجهة الاجنبية وجمع الكلمة على توحيد السير في مذهب وطني لنخرج من مضيق هذه المصيبة التي اصيب بها بعض نبهاء الشرق من خدمة الاجنبي ولو بيع الوطن اليه . وما وضعهم في هذه النقطة الذميمة الا التربية الاجنبية من جهة وتغافل الملوك عنهم من جهة اخرى ولكنهم لو تمعنوا الامر وجمعوا كلمتهم على خدمة ممالكهم لامكنهم ان يستميلوا الملوك لآرائهم النافعة ويستخدموا العظماء في المصالح التي تهدي اليها الاستشارة وتنقيح الآراء فان تيار الافكار والاعمال اذا انصب في امة ساق المجموع امامه وشغل كل انسان عن سواه فتنصرف الافكار الى الوجهة التي جرى فيها والغاية التي ينتهي اليها فيكون كلٌ عاملاً مشتغلاً بفرع من فروع الاصل الاصلاحي ولا تسعى الملوك خلف شيء غير اصلاح ممالكها وتقوّي رعاياها على دفع العدو ومنع الخلل وتشييد دعائم المملكة بما يزيدها عظماً وضخامة ويكسبها ثروة ومدنية والا فما حظ الملك منهم من اختلاف آراء الامم وتخاذل الناس عن نصره والتجائهم الى الغير يخدمونه

باضرار ملكهم والسعي في ازالة سلطانهم جرياً خلف الاوهام واغتراراً بخداع الاجنبي وتمويهه وهم قادرون على تربية ابناء بلادهم على حب الوطن والملة والدولة وتدريبهم على الاعمال الادارية والحربية والصناعية وترقيتهم بقدر استحقاقهم وسد باب الاجنبي امامهم باعطائهم الحقوق الوطنية والملكية وتسليمهم الاعمال العالية التي ترشحوا لها واستعدوا للقيام باعبائها . فانهم ان فعلوا ذلك ملأوا صدور الامم محبة لهم واستمالوهم اليهم فكانوا اسهل انقياداً اليهم من رجال الاستعباد فان المستعبَد يقاد اضطراراً وهذا يخدم اختياراً وشتان بين الحالتين وسنعود لهذا الموضوع ان شاء الله تعالى معتمدين على الشواهد القرآنية والاعمال النبوية مؤيدين ذلك بما كان ايام الخلفاء الراشدين ليتحقق الشرقي ان السلامة والنجاح في الشورى وأخذ آراء المحنكين العارفين بالامم واحوالها فلا يعود للوثوق براي النازحين ولا للاغترار باقوال المحتالين ولا يقعد عن السعي خلف هذا المقصد الجليل الذي ما اخطأه قوم الا دار العاقل منهم بين الناس ينادي من حيرته ويقول بمن اقتدي اذا اختلفت الآراء

—*—

هذا ملخص الجواب الذي ورد لنا من صديقنا الماجد احد اعيان الاسكندرية قال ايده الله تعالى

رأينا في العدد ٢٥ من جريدتكم الغراء عبارة عن مسجد ليفربول ثم رأينا الرسالة المدرجة باسم الشيخ محمود س فكتبت لكم بما رأيته بعيني وسمعته باذني وذلك اني دخلت بلاد الانكليز لاشغالي التجارية فبلغني من اخواني الشاميين المسلمين انه قد اسلم خمسون رجلاً في ليفربول واتخذوا

لهم مسجداً للصلاة فاخذت احد اخواني وقمت من مانشستر الى ليفربول فرأينا المسجد عبارة عن بيت قديم البناء مكتوب عليه (هاوس مسلمان) فطرقنا الباب فخرج لنا خادم وادخلنا فرأيت في صدر البيت لوحاً عليه لااله الا الله محمد رسول الله وقد جعلوه قبلة لهم فوزنته على بيت الابرة فوجدته في محلها فسألنا عن عبد الله كليم فقيل انه يأتي وقت الغروب فتركنا له ورق الزيارة وعدنا الى مانشستر وقد اعطانا الخادم رسائل صغيرة كتبت للترغيب في الاسلام ثم جاءنا كتاب من كليم بعد ذلك يشكر سعينا ويرجو مقابلتنا فاعلناه باستعدادنا فجاء مانشستر وقابلناه على المحطة مع جميع مسلمي الشاميين الموجودين هناك وتوجهنا به لمنزل احد الاخوان ومعه ست من اللاتي اسلمن اسمها فاطمة وبعد تناول الطعام اخذ يشرح لنا قصته وما لاقاه من الصعوبة حتى اسلم معه خمسون رجلاً وانه زوج احد المسلمين بعقد شرعي وكل يوم جمعة ويوم احد يخطب لهم خطب وعظ وترغيب ويبين لهم الصواب وجميع ما يصرف على المسجد هو من جيبه وان سبب اسلامه انه كان مسافراً لجبل طارق واجتمع بحجاج مسلمين في الوابور فسالهم عن عقيدتهم فاخبروه بها فاكب على مطالعة الكتب الاسلامية وتعلم من الحجاج بعض سور قرآنية وعقائد اسلامية . ثم حرض المسلمين على فتح مسجد في مانشستر فقاموا في الحال وقمت معهم للتفتيش على محل يليق ثم قر رأيهم على بنائه ثم اشتقنا لرؤية مسجد ليفربول وهم يصلون فيه فتوجهت مع جماعة من اخواني المسلمين وعند مجيء الوقت قام تلميذ هندي واذن بالعربية ثم قام احد الانكليز واذن بالانكليزية في بلكون البيت

فاجتمع خلق كثير وحضروا لسماع الخطبة وبعد الفراغ منها قال لهم كليم الآن تقام الصلاة فمن كان مسلماً فليبق ومن اراد الخروج فليخرج واقيمت صلاة المغرب وصلينا جماعة واخبرنا الرئيس انه عزم على جعل محل خاص بالنساء وانه كتب الى امراء الهند ليرسلوا اليه مرشداً يعرف الانكليزية وانه عازم على انشاء مطبعة لطبع رسائل دينية وجرائد اسلامية ثم ودعناه وانصرفنا راجعين الى ما نشستر ومن عهد ايام حضرت نسخة من جريدته التي انشاها وقد كتبت لحضرتكم بحقيقة الامر تاركاً بواطنهم الى الله تعالى فليس لنا الا الظاهر والله يعلم البواطن اه

(الاستاذ) معلوم ان اسلام الانكليز من الممكنات فلا يبعد على الله تعالى ان يشرح صدر بعضهم الى الاسلام فانه ممكن ونحن نرضى بما رضي به اخواننا من الظاهر الذي رضيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ابن أُبي ابن ابي سلول واخوانه وننتظر العاقبة فان انتهت بطرد مسلمي ليفربول الى البلاد الاسلامية بدعوى انهم افسدوا عقائد العامة رجعنا الى رأينا الاول وان استمروا على ما هم عليه ادخلنا اسلامهم في باب الممكنات وما يدعونا لعدم التصديق الا ما نراه من التضييق على المسلمين الاصليين وهم في بلاد الاسلام فكيف بهم بين اظهر الانكليز في بلادهم وما نحب ان نعود لهذا الموضوع فان الاعمال تغني عن الاقوال . وغاية ما نتمناه من جانب الحق سبحانه وتعالى ان يوفق من شاء لما شاء فان الامر مرجعه اليه وهو جل وعلا الفاعل المختار وبه الاعتصام في كل حال

— ✲ —